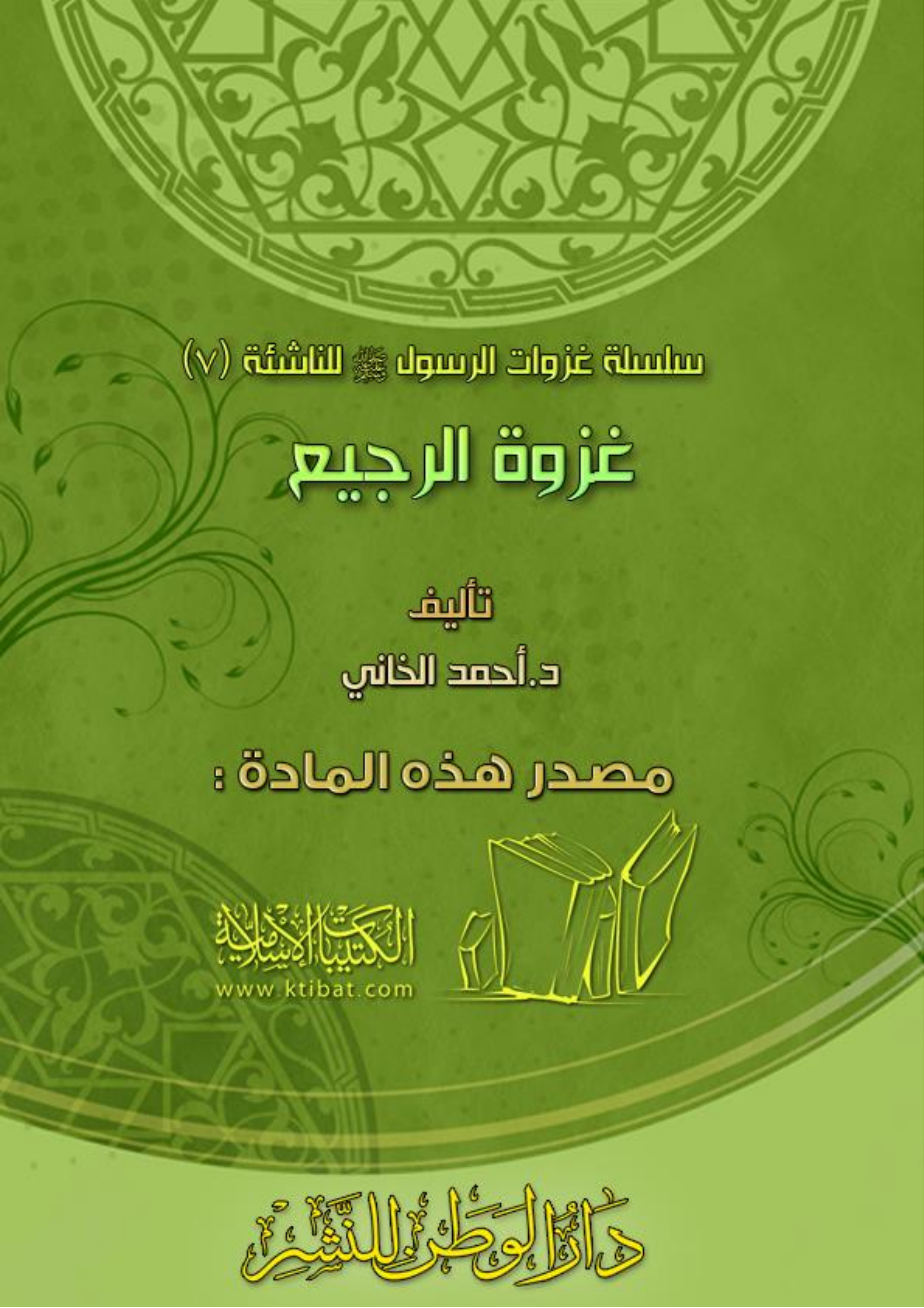


سلسلة غزوات الرسول ﷺ للناشئة (٧)
غزوة الرجيع
تأليف
د.أحمد الخاني
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

القصة العجيبة

نحن الآن مع قصةٍ غريبةٍ عجيبةٍ؛ قصة الغدر من المشركين، وقصة البطولة والفداء والحبِّ لله ولرسوله ﷺ من المسلمين.

ذلك ما نجده في غزوة الرجيع.

والرجيعُ ماءٌ قريبٌ من عسفان على بعد أربعة أميال.

فقد كان النبيُّ ﷺ يبني الدولة الإسلامية ويثبت أركانها، ويهتمُّ بجمع الأخبار عن العدوِّ حتى لا يفاجأ في المدينة المنورة.

قال محمد بن إسحاق — رحمه الله: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحدٍ رهطٌ من عضلٍ والقارة فقالوا: يا رسول الله، إنا فينا إسلامًا فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام.

الستة الكرام البررة:

فبعث رسول الله ﷺ معهم ستةً من أصحابه وهم:

مرثد بن أبي مرثدٍ الغنويُّ وهو أمير القوم.

وخالد بن بكيرٍ الليثي.

وعاصم بن ثابت بن الأقلح.

وخبيب بن عدي.

وزيد بن الدِّثنَّة.

وعبد الله بن طارقٍ ﷺ أجمعين.

غدرٌ على ماء الرجيع

فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع وهو ماءٌ لهذيلٍ بناحية الحجاز غدرت بهم هذيلٌ فجاءهم الرجال بأيديهم السيوف، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم: إنَّا والله ما نريد قتلكم، ولكن نريد أن نستفيد منكم، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم.

فأمَّا مرثد وخالد بن بكيرٍ وعاصم بن ثابتٍ فقالوا: والله لا نصدق مشركًا وقال عاصم:

كلُّ ما حمَّ الإله نازل بالمرء والمرء إليه آيل

إن لم أقاتلكم فأمي هابل

مشركةٌ تنذر أن تشرب الخمر بجمجمة صحابي

وعاصمٌ هو جدُّ عاصم بن عمر بن الخطاب وكان يوم أحدٍ قد قتل من حملة لواء المشركين مسافعًا وشقيقه من أبناء طلحة كبش الكتيبة حامل لواء المشركين، قتله الزبير فكان مسافعٌ يقول لأمه سلافة: قتلني عاصمٌ.. قتلني عاصمٌ.. فنذرت سلافة أن تشرب الخمر بجمجمة عاصمٍ إن قتل.

فلما غدر بهم هؤلاء، قاتل هو وصاحباه قتال الأبطال وكان عاصمٌ راميًا بالنبال فأنفذ في كل رجلٍ سهمًا ولكنهم تكاثروا عليه. ولاحت طيوف الجنة لعاصمٍ وهو يقاتل فدعا الله تعالى ألا يمسَّه مشركٌ ولا يمسَّ مشركًا أبدًا، فقاتل حتى قتل، وقتل معه صاحباه.

فأرادت هذيلٌ أخذ رأس عاصمٍ ليبيعوه لسلافة لتشرب في قحفه الخمر، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى أرسل النحل على جسد عاصمٍ الطاهر الشهيد الحيِّ الذي يرزق عند الله تعالى، فمنع المشركين أن يقتربوا من عاصمٍ القتيل فقال المشركون: نتركه الآن حتى يأتي المساء، فأرسل الله مطرًا صار سيلًا في ذلك الوادي فحمل عاصمًا وذهب به فمنعه الله بعد وفاته رضي الله عنه.

وأما خبيبٌ وزيد بن الدّثنة وعبد الله بن طارق فلانوا وأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها وفي الطريق انتزع عبد الله بن طارق يده من القيد وأخذ سيفه فقتلوه.

في مكة أسيران:

وأما خبيبٌ وزيدٌ، فقدموا بهما إلى مكة فباعوهما لقريشٍ بأسيرين من هذيلٍ كانا بمكة، فاشترى خبيبًا حجير بن أبي إهابٍ التميميُّ ليقتله، لأن خبيبًا ﷺ قتل أبا حجير في معركة بدر.

وأما زيدٌ فاشتراه صفوان بن أمية ليقتله ثأرًا لأبيه الذي قتل في معركة بدر.

قالت ماويَّة مولاة حجير بن أبي إهابٍ وكانت قد أسلمت: حبس خيبٌ في حجرةٍ في داري، اطلعت عليه يومًا، فإذا في يده قطفٌ من عنبٍ مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم في أرض الله عنبًا.

ركعتان:

ثم خرجوا بخبيبٍ حتى جاؤوا به إلى التنعيم ليصلبوه فقال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا.

قالوا: دونك فاركع. فركع ركعتين أتمَّهما وأحسنهما فكان خبيبٌ أول من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين.

وقال قبل أن يقتل:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا على أيِّ جنبٍ كان في الله مصرعي

ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تغادر منهم أحدًا، ثم قتلوه ﷺ وأرضاه.

ما أحبُّ أن تصيبه شوكة:

وأما زيدٌ فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد، أتحبُّ أنَّ محمدًا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟

قال: والله ما أحبُّ أنَّ محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه وأني جالسٌ في أهلي.

قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحبُّ أحدًا كحبِّ أصحاب محمدٍ محمدًا ثم قتله نسطاس.

جاء قاتلًا فأسلم:

وعلى إثر مقتل خبيبٍ ﷺ أراد أبو سفيان أن يغتال رسول الله ﷺ فقال في نفر من قريشٍ بمكة: ما أحدٌ يغتال محمدًا؟ فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا؟ فأتاه رجلٌ من العرب فدخل عليه منزله وقال له: إن أنت قوَّيتني خرجت إليه حتى أغتاله ومعي خنجرٌ مثل خافية النَّسر.

قال: أنت صاحبنا، وأعطاه بعيرًا ونفقة وأوصاه أن يكتم السِّر..

وصل الرجل إلى المدينة، فوجد الرسول ﷺ في جماعةٍ من أصحابه يحدِّث في مسجده، فدخل فلما رآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «**إن هذا الرجل يريد غدرًا، والله حائلٌ بيني وبين ما يريده**».

فوقف وقال: أيُّكم ابن عبد المطلب؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**أنا ابن عبد المطلب**».

فتقدم يميل إلى رسول الله ﷺ كأنه يريد أن يقول له حديثًا سرًّا، فجذبه أسيد بن حضير ﷺ وقال: ابتعد عن رسول الله ﷺ وجذبه من ثوبه فإذا الخنجر فقال: يا رسول الله هذا غادرٌ، فارتعد الأعرابيُّ وقال: دمي دمي يا محمد، فأمَّنه رسول الله فأخبره الأعرابي بخبر أبي سفيان. فقال له رسول الله أنت حرٌّ اذهب حيث شئت فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله. يا رسول الله لما رأيتك أرعدت فرائصي وعلمت أنك ممتنع مني وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان فجعل النبي ﷺ يبتسم.

«اقتلاه»:

ثم قال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضَّمري ولسلمة بن أسلم بن حريشٍ: «اخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب، فإن أصبتما منه غرةً فاقتلاه».

قال عمرو: فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج فقيدنا بعيرنا وقال لي صاحبي: يا عمرو هل لك في ان تأتي مكة فنطوف بالبيت أسبوعًا ونصلي؟ فقلت: إني أعرف بمكة من الفرس الأبلق، وإنهم أذا رأوني عرفوني، فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعًا وصلينا، فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال: عمرو ابن أمية وأخبر أباه فنذر بنا أهل مكة فقالوا: ما جاء عمرو في خير، وكان عمرٌو فاتكًا في الجاهلية، فحشد أهل مكة وتجمعوا، وهرب عمرٌو وسلمة، وخرجوا في طلبهما، وأسروعوا في صعود الجبل قال عمرٌو: فدخلت غارًا

فتغيبت عنهم حتى أصبحت، وباتوا يطلبوننا في الجبل وعمَّى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحلتنا.

ثأرًا لخبيب:

فلما كان الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التميميُّ لقيدِّم لفرسه حشيشًا، فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا فخرجت عليه فطعنته بخنجري صاح فأسمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرُّقهم ودخلت الغار، وقلت لصاحبي: لا تتحرك، فأقبلوا حتى أتوه وقالوا: من قتلك؟ قال: عمرو بن أمية الضَّمريُّ، فقال أبو سفيان: قد علمنا أنه لم يأتي لخيرٍ، ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فإنه كان بآخر رمقٍ فمات.

وترجل الفارس:

قال صاحبي: يا عمرو هل لك في خبيب بن عديٍّ ننزله؟ فقلت له: أين هو؟ قال: هو ذاك مصلوبٌ حوله الحرس فقلت: أمهلني وتنحَّ عني، فإن خشيت شيئًا فانح إلى بعيرك فاقعد عليه فأت رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، ودعني فإني عالم بالمدينة، ثم جئت إلى خبيبٍ فحملته على ظهري، فما مشيت إلا عشرين ذراعًا حتى استيقظوا، فخرجوا في أثري، فطرحت الخشبة، ثم أهلت عليه التراب فأعيوا ورجعوا.

قتيلٌ آخر ثأرًا لخبيب:

وأقبلت حتى أشرفت على غميم ضجنان، فدخلت في غارٍ ومعي قوسي وأسهمي وخنجري فبينما أنا فيه إذ أقبل رجلٌ من بني بكر أعور طويلٌ يسوق غنمًا ومعزى فدخل الغار وقال: من الرجل؟ فقلت: رجلٌ من بني بكرٍ، فقال: وأنا من بني بكر ثم اتكأ يتغنى.

فلســت بمســلمٍ مــا دمــت حيًّــا ... ولســت أديــن ديــن المســلمينا

فقتله شرَّ قتلةٍ قتلتها أحدًا قطُّ.

قتيلٌ وأسيرٌ ثأرًا لخبيب:

ثم خرجت فلما صرت في السهل إذا رجلان بعثتهما قريشٌ يتجسسان الأخبار فقلت: استأسرا، فأبى أحدهما فرميته فقتلته فلما رأى ذلك الآخر استأسر ثم أقبلت به إلى النبيِّ ﷺ فلقد رأيت النبيَّ ﷺ وهو يضحك ثم دعا لي بخير.

الشعر في المعركة:

قال حسان بن ثابتٍ يبكي خبيبًا:

مــا بال عينيــك لا ترقــا مــدامعها ... سحًّا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق

على خبيبٍ فتى الفتيان قد علموا ... لا فشــلٍ حــين تلقــاه ولا نــزق

فاذهــب خبيــب جــزاك الله طيّبــةً ... وجنـة الخلـد عنـد الحـور في الرُّفـق

وقال يهجو الذين غدروا بأصحاب الرجيع من بني لحيان:

إن سـرَّك الغـدر صـرفًا لا مـزاج لـه ... فـأت الرجيـع وسـل عـن دار لحيـان

وقال أيضًا: يهجو هذيلًا وبني لحيان على غدرهم بأصحاب الرجيع:

لعمري لقد شالت هذيل بن مدركٍ أحاديث كانت في خبيبٍ وعاصم
هم غدروا يوم الرجيع وأسلمت أمانتهم ذا عفةٍ ومكارم
فسوف يرون النصر يومًا عليهم بقتل الذي تحميه دون الحرائم

وقال أيضًا:

صلى الإله على الذين تتابعوا يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا
رأس السرية مرثدٌ وأميرهم وابن البكير إمامهم وخبيب

غزوة بني لحيان:

وخرج رسول الله ﷺ لما أصيب خبيبٌ وأصحابه طالبًا بدمائهم ليصيب في بني لحيان غرَّةً، فسلك طريق الشام ليري أنه لا يريد بني لحيان، حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذوا وتمنعوا في رؤوس الجبال فعاد ﷺ إلى المدينة المنورة.

رضي الله عن أصحاب الرجيع وجعل دماءهم نورًا للمسلمين.